

الفصل الثامن والعشرون عام الوفود وحج أبي بكر بالناس

دخول العرب أفواجًا في دين الله - إسلام عروة بن مسعود الثقفي وقتل أهل الطائف له - أخذ القبائل المجاورة الطريق على ثقيف - وفدها إلى النبي وشروطه - إسلام الوفود وإسلام الطائف وهدم صنمها اللات - حج أبي بكر بالناس - لحاق علي بن أبي طالب به - سورة براءة - أساس الدولة الإسلامية المنعوى - الجهاد في الإسلام وتسويغه.

أثر تبوك - ميل العرب إلى الإسلام:

بغزوة تبوك تمت كلمة ربك في شبه جزيرة العرب كلها، وأمن محمد ﷺ كل عادية عليها. والحق أنه لم يكد يستقر بعد أن عاد من هذه الغزوة إلى المدينة حتى بدأ كل من أقام على شركه من أهل شبه الجزيرة يفكر. ولئن كان المسلمون، الذين صحبوا محمدًا ﷺ في مسيره إلى الشام كابدوا من صنوف المشاق واحتملوا من النقيض والظم أهوالًا، قد عادوا وفي نفوسهم شيء من السخط أن لم يقاتلوا ولم يفتنوا بسبب انسحاب الروم إلى داخل الشام ليتحصنوا بمعاقلهم فيها - لقد ترك هذا الانسحاب في نفوس قبائل العرب المحتفظة بكيانها وبدينها أثرًا عميقًا، وترك في نفوس قبائل الجنوب باليمن وحَضْرَمَوْتْ وَعُصَمَانْ أثرًا أشدَّ عمقًا. أليس الروم هؤلاء هم الذين غلبوا الفرس واستردوا منهم الصليب وجاءوا به إلى بيت المقدس في حَقْلٍ عظيم. وفارس كانت صاحبة السلطان على اليمن وعلى البلاد المجاورة لها أزمانًا ضويلة! فإذا كان المسلمون على مقربة من اليمن ومن غيرها من البلاد العربية جمعاء، فما أجدر هذه البلاد بأن تتضام كلها في تلك الوحدة التي تستظل بعلم محمد، علم الإسلام، لتكون بمنجاة من تحكم الروم والفرس جميعًا! وماذا يضرُّ أمراء القبائل والبلاد أن يفعلوا وهم يرون محمدًا يُثَبَّتْ مَنْ جاءه معنًا الإسلام والطاعة في إمارته وعلى قبيلته؟! فلتكن السنة العاشرة للهجرة إذًا سنة الوفود، وليدخل الناس في دين الله أفواجًا، وليكن لغزوة تبوك ولانسحاب الروم أمام المسلمين من الأثر أكثر مما كان لفتح مكة والانتصار في حُنَيْنٍ وحِصَارِ الطائف.

إسلام عروة بن مسعود:

ومن حسن صنيع القدر أن كانت الطائف - التي قاومت النبي في أثناء حصارها ما قاومت حتى انصرف المسلمون عنها دون اقتحامها - هي أول من أسرع إلى إعلان الطاعة بعد تبوك، وإن

تردّت طويلاً في إعلان هذه الطاعة. فقد كان عُرْوَة بن مسعود، أحد سادة ثقيف المقيمين بالطائف، غائباً باليمن في أثناء غزو النبيّ بلاده بعد موقعة حُنين. فلما عاد إلى موطنه ورأى النبيّ انتصر في تبوك وعاد إلى المدينة، أسرع إليه يعلن إسلامه وحرصه على دعوة قومه للدخول في دين الله. ولم يكن عروة ليجهل محمداً وعظم أمره، وقد كان أحد الذين فاوضوه عن قريش في صلح الحديبية. وعرف النبيّ بعد إسلام عروة اعتزامه الذهاب إلى قومه يدعوهم إلى الدين الذي دخل فيه، وكان النبيّ يعرف من تعصّب ثقيف لصنمها اللات ومن نخوتها وشدّتها ما جعله يحذّر عروة ويقول له: إنهم قاتلوك، لكن عروة اعتزّ بكانه من قومه فقال: يا رسول الله، أنا أحبّ إليهم من أبصارهم.

مقتل عروة:

وذهب عروة فدعا قومه إلى الإسلام؛ فتشاوروا فيما بينهم ولم يبدوا له رأياً. فلما كان الصباح قام على عِلّة له ينادى إلى الصلاة. هنالك صدقت فراسة الرسول، فلم يطق قومه صبراً، فأحاطوا به ورموه بالنبل من كل وجه فأصابه سهم قاتل. واضطرب من حول عروة أهله، فقال وهو يُسلم الروح: «كرامة أكرمى الله بها، وشهادة ساقها الله لي، فليس في إلا ما في الشهداء الذين قُتلوا مع رسول الله - ﷺ - قبل أن يرتحل عنكم». ثم طلب أن يدفن مع الشهداء فدفنه أهله معهم.

وفد ثقيف إلى النبيّ ﷺ:

ولم يذهب دم عروة هدرًا، فإن القبائل التي تُحيط بالطائف كانت قد أسلمت كلها، ولذلك رأت فيها صنعت ثقيف يسيد من ساداتها إثمًا ونكرًا. ورأت ثقيف من أثر ذلك أنهم صاروا لا يأمن لهم سرّب، ولا يخرج منهم رجل إلا أفتطع، وأيقنوا أنهم إن لم يجدوا سبيلاً إلى صلح أو هدنة مع المسلمين فمصرهم لا ريب إلى الفناء. وأتمر القوم فيما بينهم، وتحدّوا إلى كثير منهم (عبد اليل)، فذهب إلى النبيّ يعرض عليه صلح ثقيف معه. وخشى عبد اليل أن يُصيبه من قومه ما أصاب عروة بن مسعود، فلم يقبل أن يخرج إلى محمد حتى أوفدوا معه خمسة آخرين، اطمأنّ إلى أنه إذا خرج معهم تم عادوا شغل كل رجل منهم رهطة. ولقى المغيرة بن شعبة القوم حين دَنَوْا من المدينة، فأُسرِع يريد أن يحجز النبيّ خبرهم. ولقيه أبو بكر يشدّد في السير؛ فلما عرف منه ما جاء فيه طلب إليه أن يدع له هذه البشري يزفّها إلى رسول الله ودخل أبو بكر فأخبر النبيّ بقدوم وفد ثقف.

طلب الوفد بقاء صنمهم ورفض النبيّ ﷺ ذلك:

وكان هذا الوفد ما يزال يعتزّ بقومه، وما يزال يذكر حصار النبيّ ﷺ للطائف وانصرافه عنها. فسمع ما علمهم المغيرة كيف يحجز النبيّ بنحية الإسلام لم يرخصوا حين قابله إلا أن يحجوه بتحية الجاهلية، ثم إنهم ضربت لهم قبة خاصّة في ناحية من المسجد أقاموا بها يصرون على الحذر من المسلمين وعدم الطمأنينة إليهم. وكان خالد بن سعيد بن العاص هو الذي يمشی بينهم وبين

رسول الله ﷺ في مفاوضتهم إياه؛ فكانوا لا يطعمون طعاماً يأتيهم من عند النبي حتى يأكل منه خالد. وقام هذا بالسفارة، فأبلغ محمدًا أنهم مع استعدادهم للإسلام، يطلبون إليه أن يدع لهم صنهم اللات ثلاث سنين لا يهدمها، وأن يعفيهم من الصلاة. وأبى محمد عليهم ما طلبوا من ذلك أشد إباء. ولقد نزلوا يطلبون أن يدع اللات سنتين، ثم أن يدعها سنة، ثم أن يدعها شهرًا واحدًا بعد انصرافهم إلى قومهم، لكن إباءه ذلك كان حاسمًا لا ترد فيه ولا هواده. وكيف تريد من نبي، يدعو إلى دين الله الواحد القهار وهدم الأصنام فلا ينز منها باقية، أن يتهاون في أمر صنم منها، وإن كان لقومه من المنفعة ما كان لتقيف بالطائف! فالإنسان إما أن يؤمن، وإما ألا يؤمن، وليس بين الطرفين إلا الارتياب والشك. والشك والإيمان لا يجتمعان في قلب كما لا يجتمع الإيمان والكفر. وبقاء اللات طاغية تقيف علم على أنهم لا يزالون يداولون عبادتهم بينها وبين الله جل شأنه. وهذا إشراك بالله، والله لا يغفر أن يُشرك به.

طلب الإغفاء من الصلاة ورفضه:

وطلبت تقيف إغفاءها من الصلاة؛ فرفض محمد ﷺ قائلًا: إنه لا خير في دين لا صلاة فيه. ونزل التقيفون عن بقاء اللات وقبلوا الإسلام وإقامة الصلاة لكنهم طلبوا ألا يكسروا أوثانهم بأيديهم. إنهم حديثو عهد بإيمان، وقومهم ما يزالون في انتظارهم ليروا ما صنعوا، فليجنبهم محمد ﷺ تحطيم ما كانوا يعبدون وما كان يعبد آباؤهم، ولم ير محمد أن يشتد في هذه، فسيان أن يكسر التقيفون الصنم وأن يكسره غيرهم؛ فهو سيهدم، وستقوم في تقيف عبادة الله وحده. قال عليه السلام: أما كسر أوثانكم بأيديكم فستعفيكم منه، ثم أمر عليهم عثمان بن أبي العاص وكان من أحدثهم سنًا. أمره عليهم على حدائث سنه؛ لأنه كان أحرصهم على الفقه في الإسلام وتعلم القرآن، بشهادة أبي بكر والسابقين إلى الإسلام. وأقام القوم مع محمد مابقي من رمضان، وصاموا وإياه وهو يبعث لهم بظهورهم وسحورهم. فلما آن لهم أن ينصرفوا إلى قومهم أوصى محمد عثمان بن أبي العاص قائلًا: «تجاوز في الصلاة واقتلر الناس بأضعفهم، فإن فيهم الكبير والصغير والضعيف وذا الحاجة».

هدم اللات:

وعاد القوم إلى بلادهم، فوجه النبي معهم أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة، وكانت لهما بتقيف مودة وحرمة، ليقوما بهدم اللات. وقدم أبو سفيان والمغيرة لهدم الصنم، فهدهم المغيرة ونساء تقيف حُسراً يبكين، ولا يجرؤ أحد أن يقترب منه بعد الذي كان من اتفاق وفد تقيف والنبي على هدمه. وأخذ المغيرة مال اللات وحليها فقضى منه، بأمر الرسول وبالاتفاق مع أبي سفيان، ديناً كان على غروة والأسود. وهدم اللات وبإسلام الطائف كانت الحجاز كلها قد أسلمت، وكانت سطوة محمد قد امتدت من بلاد الروم في الشمال إلى بلاد اليمن وحضر موت في الجنوب. وكانت هذه

البلاد الباقية في جنوب شبه الجزيرة تنهياً كلها لتنضم إلى الدين الجديد، ولتقف على الدفاع عنه وعن وطنها كل قوتها. وكانت وفودها تسير لذلك من جهات مختلفة، قاصدة كلها إلى المدينة لتعلن الطاعة ولتدين بالإسلام.

الوفود تُقْبِلُ تَتَرى إلى المدينة:

بينما كانت الوفود تُقْبِلُ تَتَرى إلى المدينة، كانت الأشهر يتلو أحدها الآخر حتى اقترب موعد الحج، ولم يكن النبي عليه السلام أدى الفريضة على تمامها يومئذ كما يؤديها المسلمون اليوم، أفتراه يخرج في عامه هذا شكراً لله على ما نصره على الروم، وما أدخل الطائف في حظيرة الإسلام، وما جعل الوفود تنجى إليه من كل فج عميق؟ إن شبه الجزيرة ما يزال بها من لم يؤمن بالله ورسوله، ما يزال بها الكفار وما يزال بها اليهود والنصارى. والكفار على عهدهم في الجاهلية ما يزالون يحجون إلى الكعبة في الأشهر الحرم. والكفار نجس. فليبق إذاً بالمدينة حتى يتم الله كلمته وحتى يأذن الله له بالحج إلى بيته وليخرج أبو بكر في الناس حاجاً.

حج أبى بكر بالناس:

وخرج أبو بكر في ثلثمائة مسلم قاصداً إلى مكة. ولكن العام قد يتلو العام والمشركون ما يزالون يحجون بيت الله الحرام. أليس بين محمد وبين الناس عهد عام ألا يُصدَّ عن البيت أحد جاءه، ولا يُخاف أحد في الأشهر الحرم؟ أليست بينه وبين قبائل من العرب عهود إلى آجال مسماة؟! فمادامت هذه العهود فسيظل بيت الله يحج إليه من يُشرك بالله ومن يعبد غير الله، وسيظل المسلمون يرون عبادة الجاهلية تؤدي بأعينهم حول الكعبة وهم يحكم هذه العهود الخاصة وهذا العهد العام لا قبل لهم بصد أحد عن حجّه وعبادته.

منع المشركين من الحج:

وإذا كانت الأصنام التي يعبد العرب قد حُطِمَ الكثير منها وحطم منها كل ما كان في الكعبة أو حولها، فإن هذا الاجتماع في بيت الله المقدس، اجتماعاً يضم الثائرين على الشرك وعلى الوثنية والمقيمين على هذا الشرك وهذه الوثنية، تناقض غير مفهوم. وإذا استطاع أحد أن يفهم حج اليهود والنصارى جميعاً إلى بيت المقدس على أنه أرض المعاد لليهود ومولد المسيح للنصارى، فلن يستطيع أحد أن يفهم اجتماع عبادتين حول بيت تُحطَّم فيه الأصنام وتعيد فيه الأصنام التي حُطِمَت. لذلك كان طبيعياً أن يحال بين المشركين وبين الاقتراب من البيت الذي طُهر من الشرك وبجيت منه كل معالم الوثنية. وفي هذا نزلت الآيات من سورة براءة. لكن موسم الحج بدأ والمشركون قد أتى منهم من أتى من كل فج يقضى مناسك حجه، فليكن هذا الاجتماع أوان تبليغهم أمر الله ينقض كل عهد بين الشرك والإيمان إلا من عهد عُقِدَ لأجل فإنه يبقى إلى أجله.

ولهذه الغاية أوفد النبي ﷺ علي بن أبي طالب كي يلحق بأبي بكر. وكى يخطف الناس حين الحج يوم عرفة بما أمر الله ورسوله. وحضر علي، في أثر أبي بكر والمسلمين الذين برزوا إلى الحج معه، كي يؤدى رسالته. فلما رآه أبو بكر قال له: أمير أم مأمور! قال علي: بل مأمور. وأخبره بما جاء فيه، وأن النبي إنما بعثه في الناس لأنه من أهل بيته. فلما اجتمع الناس بمضى يؤدون مناسك الحج، وقف علي بن أبي طالب وإلى جانبه أبو هريرة، فنادى علي في الناس يتلو قوله تعالى:

﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ. فَسِخْرُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ. وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ. إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتُوا إِلَيْهِمْ عَهْدُهُمْ إِلَىٰ مَدِينِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ. فَإِذَا أَنْسَلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرْمَ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُواهُمْ وَأَحْضَرُوهُمْ وَأَقْعِدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ. وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ. كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ. كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا ذِمَّةً يَرْضَوْنَكُمْ بِأَوَاهِهِمْ وَيَأْتِي قُلُوبُهُمْ وَكَثَرُهُمْ فَأَسْفُونَ. اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَفَضُّوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ. لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ. فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفُصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ. وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَتِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ. أَلَا تَقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ يَدْعُوكُمْ أُولَٰئِكَ مَرْءَةٌ أَنْ تُخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ. قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِيهِمْ وَيُنْصِرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ. وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَتُوبَ اللَّهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ. أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ. مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ. إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُتَّقِينَ. أَجْعَلْتُمْ مَسَاجِدَ الْحَرَامِ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَا آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ. الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ. يَبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّتْ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ. خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنْ اللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ

أَرْيَاءَ إِنْ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَاُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ. قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ. لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُذِيرِينَ. ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ. ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيَكُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ. قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ. وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِيُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتِلْهُمْ اللَّهُ أَمَّا يُؤْفَكُونَ. اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ. يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ. هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن كَثِيرًا مِنَ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْتِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَتَّقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ. يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْتِزُونَ. إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١١﴾.

وقف على في الناس وهم يؤدون مناسك الحج بمنى، فتلا عليهم هذه الآيات من سورة التوبة نقلناها هنا كاملة لغرض سنيته. فلما أتم تلاوتها وقف هنيهة ثم صاح بالناس: «أيها الناس! إنه لا يدخل الجنة كافر، ولا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان. ومن كان له عند رسول الله ﷺ عهد فهو إلى مدته». صاح على في الناس بهذه الأوامر الأربعة، ثم أجل الناس أربعة أشهر بعد ذلك اليوم ليرجع كل قوم إلى مآسهم وبلادهم. ومن يومئذ لم يحج مشرك، ولم يطف بالبيت عريان. ومن يومئذ وضع الأساس الذي تقوم عليه الدولة الإسلامية.

الأساس المعنوى للدولة الناشئة:

هذا الأساس هو الذى جعلنا نسجل هنا صدر صورة التوبة كله. والحرص على أن يدرك العرب جميعاً هذا الأساس هو الذى دعا علياً إلى ألا يكفى بقراءة هذه الآيات من براءة يوم الحج، على ما اتفقت عليه الرواية، بل جعله يقرؤها على الناس من بعد ذلك فى منازلهم، على ما جاءت به روايات كثيرة. وإنك إذ تلو صدر «براءة» وتعيد تلاوته بإمعان وروية لتشعر حقاً بأنه الأساس المعنوى فى أقوى صورة لكل دولة ناشئة تقوم. ونزول «براءة» كلها بعد آخر غزوة من غزوات النبى ﷺ، وبعد أن جاء أهل الطائف يعلنون انضمامهم إلى الدين الجديد، وبعد أن أصبح الحجاز كله ومعه تهامة ونجد منضوياً تحت راية الإسلام، وبعد أن أعلن كثير من قبائل الجنوب فى شبه الجزيرة الإذعان لمحمد والانضواء إلى دينه، يحلو الحكمة التاريخية فى نزول الآيات التى تنتظم أساس الدولة المعنوى فى هذا الحين. فالدولة، لتكون قوية، يجب أن تكون لها عقيدة معنوية عامة يؤمن بها أهلها ويدافعون جميعاً عنها بكل ما أوتوا من عتاد وقوة. وأية عقيدة أعظم من الإيمان بالله وحده لا شريك له! أية عقيدة أكبر سلطاناً على النفس من أن يحس الإنسان نفسه تتصل بالوجود فى أسمى مظاهره، لا سلطان عليه لغير الله ولا رقيب غير الله على ضميره! فإذا وجد الذين يقومون فى وجه هذه العقيدة العامة التى يجب أن تكون أساس الدولة، فأولئك هم الفاسقون، وأولئك هم نواة الثورة الأهلية والفتنة الماحقة، وأولئك يجب لذلك ألا يكون لهم عهد، ويجب أن تقاتلهم الدولة. فإن كانوا ثائرين على العقيدة العامة ثورة جامعة، وجب قتالهم حتى يُدْعَنُوا. وإن كانت ثورتهم على العقيدة العامة غير جامعة، كما هو شأن أهل الكتاب، وجب أن يدفعوا الجزية عن يد وهم صاغرون.

المسرفون فى أحكامهم على الإسلام والرسول ﷺ:

النظر إلى المسألة من الجهة التاريخية والجهة الاجتماعية يهديننا إلى هذا التقدير لمغزى الآيات التى تلاها القارئ ههنا من سورة التوبة، وهو يهذى إلى هذا التقدير كل منصف نزيه القصد. لكن الذين أسرفوا فى أحكامهم على الإسلام وعلى رسوله يَنزِرُونَ هذا النظر على نياً ويَعْرِضُونَ لهذه الآيات القوية غاية القوة من سورة التوبة على أنها دعوة إلى التعصّب لا تتفق مع ما ترضاه الحضارة الفاضلة من تسامح، دعوة إلى قتال المشركين وقتلهم حيث يُقْنِهم المؤمنون فى غير رفق ولا هوادة، دعوة إلى إقامة الحكم على أساس البطش والجبروت. هذا كلام تقرأه فى كثير من كتب المستشرقين. وهو كلام تهوى إليه الأذهان التى لم تنضج فيها ملكة النقد الاجتماعى والتاريخى حتى من أبناء المسلمين وهو كلام لا يتفق مع الحقيقة التاريخية ولا يتفق مع الحقيقة الاجتماعية فى شيء. وهو لذلك يؤدى بأصحابه إلى تفسيرهم ما أوردنا من سورة التوبة، وما جاء من مُشَاهِبه فى مواضع

كثيرة من القرآن، تفسيراً يأباه منطق الحوادث في سيرة الرسول تمام الإباء، وتأباه حياة النبي العظيم في تسلسلها من يوم بعثه الله للدعوة إلى دين الحق إلى يوم اصطفاه الله إليه.

حرية الرأي والحضارة الغربية:

ويجملُ بنا لبيان ذلك أن نسأل عن الأساس المعنوي للحضارة الحاكمة اليوم، ثم نقيس به هذا الأساس المعنوي الذي دعا محمد إليه. فالأساس المعنوي للحضارة الحاكمة اليوم هو حرية الرأي حرية لا حد لها، ولا حدٌ للتعبير عنها إلا بالقانون. وحرية الرأي هذه هي لذلك عقيدة يدافع الناس عنها ويضخون في سبيلها ويجاهدون لتحقيقها ويحاربون من أجلها، ويعتبرون ذلك كله آية من آيات المجد التي يفاخرون بها الأجيال ويتباهون بها على ما سبقهم من العصور. ومن أجل ذلك يقول المستشرقون الذين أشرنا إليهم: إن دعوة الإسلام لمقاتلة من لا يؤمن بالله واليوم الآخر دعوة إلى التعصب تتنافى وهذه الحرية. وهذه مغالطة مفضوحة إذا عرفت أن قيمة الرأي الدعوة له والعمل به. والإسلام لم يدعُ إلى مناوأة المشركين من أهل الجزيرة، إذا هم أذعنوا ولم يدعُوا إلى شركهم ولم يعلموا به وقيموا عبادته. والحضارة الحاكمة اليوم تحارب الآراء التي تناقض مواضع العقيدة منها بأشد ما كان يحارب المسلمون المشركين، وتفرض على من يعتبر كتابياً بالنسبة لهذه الحضارة الحاكمة ما هو شرٌّ من الجزية ألف مرة.

محاربة البلشفية وهي رأى اقتصادي:

ولسنا نضرب المثل لذلك بما كان حين محاربة تجارة الرقيق، وإن آمن الذين كانوا يقومون بهذه التجارة بأنها غير محرمة. لا نضرب هذا المثل حتى لا يقال: إننا لا نستنكر هذه التجارة وإن كان الإسلام لم يدعُ إلى أكثر من محاربة ما يستنكر. لكن أوروبا اليوم، أوروبا صاحبة الحضارة الحاكمة تؤيدها أمريكا وتعززها قوات الجنوب في آسيا والشرق الأقصى منها، قد حاربت البلشفية، وهي مستعدة لمحاربتها أشد الحرب. ونحن في مصر مستعدون للاشتراك مع الحضارة الحاكمة لمحاربة البلشفية. والبلشفية ليست مع ذلك إلا رأياً في الاقتصاد يحارب الرأي الذي تدين به الحضارة الحاكمة اليوم. أفتكون دعوة الإسلام إلى محاربة المشركين الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه دعوة وحشية إلى التعصب وضد الحرية، وتكون الدعوة إلى محاربة البلشفية الهادمة للنظام الاجتماعي في الحضارة الحاكمة دعوة إلى الحرية في العقيدة والرأى وإلى احترامها؟

محاربة محلات العرى:

ثم إن قوماً رأوا في غير بلد من بلاد أوروبا أن التهذيب النفسى يجب أن يتصل به التهذيب الجسمي، وأن ما تواضع الناس عليه من ستر الجسم كله أو بعض أعضائه أشد إثارة للمعاني الجنسية في النفس، وأشد لذلك إفساداً للخلق من أن يسير الناس وكلهم عريان. وبدأ أصحاب هذا

الرأى ينقدونه وأقاموا محلات العري في بعض المدن، وأقاموا أماكن يفشاها من شاء للتدرب على هذا التهذيب الجسمي. لكن هذا الرأى ما بدأ ينتشر حتى رأى القائمون بالأمر في كثير من البلاد أن في انتشار مظاهره إفساداً للتهذيب الخلقي يضر بالجماعة؛ فحرموا «محلات العري» وحراروا القائمين بالرأى، ونهوا بالقانون عن إنشاء أماكن هذا التهذيب الجسمي. وما تشك في أن هذا الرأى، لو انتشر في أمة بأسرها لكان سبباً لإعلان الحرب عليها من أمم أخرى على أنه مقسدة للحياة المعنوية في الإنسان، كما أثرت حروب بسبب الرقيق، وكما تثار حروب أو ما يشبهها بسبب تجارة الرقيق الأبيض وبسبب الاتجار بالمخدرات. لماذا ذلك كله؟ لأن حرية الرأى على إطلاقها يمكن أن تحتل ما بقيت حبيسة في حدود القول الذي لا يتصل منه بالجماعة ضرراً أو أذى. فإذا أوسك هذا الرأى أن يثير في الجماعة الإنسانية الفساد فقد وجبت محاربة هذه التأثيرات ووجبت محاربة مظاهر الرأى جميعاً، بل وجبت محاربة الرأى نفسه، وإن اختلفت مظاهر هذه الحرب بمقدار ما بترت على هذه المظاهر من فساد في الجماعة يخشى منه على قوامها الخلقي أو الاجتماعي أو الاقتصادي.

انتشريع قمع حرية الرأى له ما يسوغه:

هذه هي الحقيقة الاجتماعية المعترف بها والمقررة لدى الحضارة الحاكمة اليوم. ولو أردنا أن نستقصى مظاهر ذلك وآثاره في مختلف الشعوب لاطال بنا البحث، وليس هنا موضع. على أنك تستطيع أن تقول إن كل تشريع يراد به قمع أية حركة اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية إنما هو حرب للرأى الذي تصدر عنه هذه الحركة. وهذه الحرب نجد ما يسوغها في مبلغ ما يُصيب الجماعة الإنسانية من ضرر إذا نُفذت الآراء تُشَبِّب الحرب عليها. فإذا أردنا أن نقدر دعوة الإسلام إلى مقاتلة الشرك وأهله وحريمهم حتى يذعنوا، وهل هذه الحرب مسوغة أو غير مسوغة. وجب أن ننظر فيما تمثله فكرة الشرك هذه وما تدعو إليه. فإن اتفقت الكلمة على فادح ضررها بالجماعة الإنسانية في مختلف عصورها كان لإعلان الإسلام الحرب عليها ما يسوغه بل ما يوجبه.

صورة من حياة المشركين:

والشرك الذي كان موجوداً حين قيام محمد عليه السلام بالدعوة إلى دين الله الحق لم يكن يمثل عبادة الأصنام وكفى، ولو أنه كان كذلك لوجبت محاربته؛ فمن الاتِّدراء للعقل الإنساني وللكرامة الإنسانية أن يعبد الإنسان حجراً. ولكن هذا الشرك كان يمثل مجموعة من التقاليد والعقائد والعادات، بل كان يمثل نظاماً اجتماعياً هو شرٌّ من الرق وشرٌّ من البلشفية وشرٌّ من كل ما يتصور العقل في هذا القرن المتم للعشرين. كان يمثل وأد البنات، وتعدّد الزوجات إلى غير حد، حتى ليحلّ للرجل أن يتزوج ثلاثين وأربعين ومائة وتلثمائة امرأة وأكثر من ذلك. وكان يمثل الربا في أفحش

ما يستطيع الإنسان أن يتصور الربا. وكان يمثل الإباحية الخلقية في أسفل صورها، وكانت جماعة الوثنيين العرب شرًّا جماعة أخرجت للناس. ونودّ من كل منصف أن يجيب عن هذا السؤال: لو أن جماعة من الناس وضعت لنفسها اليوم نظامًا فيه من العقائد والعادات وأد البنات، وتعدّد الزوجات، وإباحة الرق لسبب أو لغير سبب، واستغلال الأموال استغلالاً فاحشاً، ثم قامت ثورة على ذلك كله تحاول تحطيمه والقضاء عليه، أنتم هذه الثورة بالتعصّب وبالعامل ضدّ حرية الرأى؟! وإذا افترضنا أن أمة اطمأنت إلى هذا النظام الاجتماعي المنحطّ وأوشكت العدوى أن تنتقل منها إلى غيرها من الدول فأدنتها هذه الدول بحرب، أن تكون الحرب مسوغة أم غير مسوغة؟! أولاً تكون مسوغة أكثر من الحرب الكبرى الأخيرة التي طاحت بملأين من أهل هذا العالم لغير سبب إلا الشره والجشع من جانب دول الاستعمار؟! وإذا كان ذلك شأنها فما عسى أن تكون قيمة نقد المستشرقين للآيات التي تلاها القارئ من سورة براءة، ولدعوة الإسلام إلى حرب الشرك وأهله ممن يدعون إلى إقامة نظام فيه ما ذكرنا وشرًّا مما ذكرنا.

الثورة على الشرك مسوغة:

وإذا كانت هذه هي الحقيقة التاريخية في شأن هذا النظام الذي كان قائماً في بلاد العرب يُطلّ علم الشرك والوثنية، فهناك أيضاً حقيقة تاريخية أخرى مستمدة من حياة الرسول. فهو قد أنفق منذ بعثه الله برسائله ثلاث عشرة سنة حسوماً يدعو الناس فيها إلى دين الله بالحجة ومجادلهم بالتي هي أحسن. وهو فيما قام به من غزوات لم يكن معتدياً قط، وإنما كان مدافعاً عن المسلمين دائماً، مدافعاً عن حرّيتهم في الدعوة إلى دينهم الذي يؤمنون به ويضحون بحياتهم في سبيله. هذه الدعوة القويّة إلى قتال المشركين على أنهم نجس، وأنهم لا عهد لهم ولا ميثاق، وأنهم لا يرعون في مؤمن إلاّ ولا ذمة، وإنما نزلت بعد آخر غزوة غزا النبي: تبوك. فإذا حلّ الإسلام ببلاد نفشى فيها الشرك وحاول أن يقيم فيها هذا النظام الاجتماعي والاقتصادي الهدام الذي كان قائماً في شبه الجزيرة حين بعث النبي، فدعا المسلمون أهلها إلى ترك هذا النظام، وإلى الأخذ بما أحلّ الله وتحريم ما حرّم فلم يدعوا، فليس من منصف إلا يقول بالثورة عليهم، ويقفاهم حتى تتم كلمة الحق، وحتى يكون الدين كله لله.

ولقد أثمر هذا تلا على من «براءة» وما نادى في الناس بألا يدخل الجنة كافر، وبألا يحجّ بعد العام مشرك، وبألا يطوف بالبيت عريان، خير الثمرات، وأزال كل تردّد من نفوس القبائل التي كانت ماتزال متباطئة في تلبية دعوة الإسلام.

عامر بن الطفيل:

وبذلك دخلت في الإسلام بلاد اليمن ومهّرة والبحرين واليمامة، ولم يبق من يناوئ محمداً إلا

عدداً قليلاً أخذتهم العزة بالإثم وغرهم بالله الغرور. من هؤلاء عامر بن الطفيل الذي ذهب مع وفد بني عامر ليستظلوا براية الإسلام؛ فلما كانوا عند النبي امتنع عامر ولم يُسلم، وأراد أن يكون للنبي نداً. وأراد النبي أن يقتعه كيما يسلم، فأصرَّ على إباته، ثم خرج وهو يقول: أما والله لأملأنها عليك خيلاً ورجالاً. قال محمد: اللهم اكفني عامر بن الطفيل! وانصرف عامر يريد قومه. وإنه لفي بعض الطريق إذ أصابه الطاعون في عنقه وقضى عليه وهو في بيت امرأة من بني سلول؛ قضى عليه وهو يردد: «يا بني عامر! أَعْدَّةُ كَفْدَةِ البعير وموتة في بيت سلولية!». أما أربد بن قيس فقد أبى أن يسلم وعاد إلى بني عامر ولم يطل به المقام بل أحرقت صاعقة حين خرج على جمل له يبيعه. ولم يمنع إباء عامر وأربد قومها من أن يسلموا. ومن هؤلاء بل هو شرُّهم مكاناً مُسَيِّمةً بن حبيب؛ فقد جاء في وفد بني حنيفة من أهل اليمامة وخلفه القوم على رحالهم وذهبوا إلى رسول الله فأسلموا وأعطاهم النبي، فذكروا له مُسَيِّمة، فأمر له بمثل ما أمر للقوم، وقال: أما إنه ليس بشرِّهم مكاناً؛ وذلك لحفظه رجال أصحابه. فلما سمع مُسَيِّمة قولهم ادعى النبوة، وزعم أن الله أشركه مع محمد في الرسالة، وجعل يسجِّع لقومه ويقول لهم فيها يقول محاولاً مضاهاة القرآن: «لقد أنعم الله علي الحُبلى. أخرج منها نسمة تسعى. من بين صفاق وحشا»: وأحلَّ مُسَيِّمة الخمر والزنا، ووضع عن قومه الصلاة، وانطلق يدعو الناس إلى تصديقه. فأما مَنْ عدا هؤلاء من العرب فأقبلوا يدخلون في دين الله أفواجا من أطراف شبه الجزيرة، وعلى رأسهم رجال من أعزَّ الرجال من أمثال عدي بن حاتم وعمر بن معدى كرب. وبعث ملوك حِمير رسولا يكتبانهم إلى النبي يعلنون فيه إسلامهم فأقرهم عليه وكتب إليهم بما لهم وما عليهم في شرع الله. فلما انتشر الإسلام في جنوب شبه الجزيرة، بعث محمد من السابقين إلى الإسلام من يفقههم في دينهم وشيئهم فيه.

تسمية وفود العرب إلى النبي ﷺ:

لم يُطل الوقوف عند وفود العرب إلى النبي ﷺ كما فعل بعض الأقدمين من كتاب السيرة، لتشابه أمرهم في الانضواء تحت راية الإسلام. ولقد أفرد ابن سعد في طبقاته الكبرى لوفادات العرب على الرسول خمسين صفحة كبيرة، نكتفى بأن نذكر منها أسماء القبائل والبطون التي أوفدها. فقد جاءت وفود من: مُزَيْنَة، وأَسَد، وقيم، وعَبَس، وفَزَارَة، ومُرَّة، وتَغَلِبَة، ومُحَارِب، وسعد بن بكر، وكِلَاب، ورؤاس بن كلاب. وعُقَيْل بن كعب، وجَعْدَة، وقُشَيْر بن كعب، وبني البَكَاء، وكنانة، وأشَجَع، وباهلة، وسُلَيْم، وهلال بن عامر، وعامر بن صَعَصَعَة، وثَقِيف. وجاءت وفود ربيعة من: عبد القيس، وبكر بن وائل، وتَغَلِب، وحنيفة، وشَيْبَان. وجاء من اليمن وفد من طي، وتُجَيْب، وخَوْلَان، وجُعْفَى، وصداء، ومُراد، وزُبَيْد، وكِنْدَة، والصَّدَف، وخُشَيْن، وسعد شَدِيم، وبَلِي، وهرات، وعُدرة؛ وسلامان، وجهينة، وكلب، وجرم، والآزْد، وغَسَّان، والحارث بن كعب، وهذان، وسعد العشيرة، وعَس، والداريين، والرَّهَآوين (حى من مذحج)، وغَامِد، والنَّخَع، وبَجِيلَة، وخَثَم،

والأشعرين، وحَضَرَ مَوْتَ، وأَزْدَ عُمانَ، وغافِق، وبارق، ودَوْس، وثُمالة، والحُدان، وأسَلَم، وجُذام، ومهرة، وجَمير، ونَجْران، وجَيْشَان. وكذلك لم يبق في شبه الجزيرة بطن أو قبيلة حتى أسلم إلا من قدمنا.

وكان ذلك شأن المشركين من أهل شبه الجزيرة؛ سارعوا إلى الدخول في الإسلام، وتركوا عبادة الأوثان. وتطهرت بلاد العرب جميعاً من الأصنام وعبادتهم وتم ذلك كله بعد تبوك طواعية واختياراً، من غير أن ترهق نفس أو يهراق دم. فماذا صنع اليهود والنصارى مع محمد، وماذا صنع محمد ﷺ معهم؟